إشكالية التعريف الإجرائي في العلوم الإنسانية والإجتماعية

☜ إعداد

دكتور / ناصر هاشم محمد

مدرس بقسم الفلسفة

كلية الآداب – جامعة أسيوط

مقدمـــه :

لقد شغل موضوع التعريف أذهان الفلاسفة والعلماء والمناطقـــة علـــى الســـواء ، فالفلاسفة يعدونه أخطر موضوعات الفلسفة على الإطلاق لأن الفلســـفة عنـــدهم فـــى جوهرها هى " بناء من تعريفات أو هى وصف الطريقة التـــى يـــتم بهـــا صـــياغات التعريف" (١)

أما العلماء فيذهبون إلى أن تعريف الشئ أو اللفظ يعنى الإمساك بجوهره وحقيقته، وبناء أى منهج من مناهج البحث العلمى يمثل التعريف العمود الفقرى لهذا المـــنهج ، والتعريفات عندهم لا تمثل نقطة البداية فى تقدم المعرفة العلمية فحسب لكنها أيضا تمثل الغاية التى تهدف إليها المعرفة وإقصاء التعريفات فى بداية البحث العلمـــى أو خلالـــه يؤدى بلا شك إلى الإخلال بالقواعد الأساسية للبحث العلمى ذاته لأن " وظيفة التعريف جزء لا يتجزأ من مهمة الكشف كما أن التعريف والكشف معا يشكلان خطوتين هامتين بالنسبة للمعرفة التى تسعى إليها. (٢)

أما المناطقة فيعدون التعريف أهم وأكبر موضوعات المنطق بعـــد الاســـتدلال لأن البرهنة على خواص الأشياء لا تتم إلا بعد تعريفها ، والتعريف هو عملية منطقية فـــى الأساس يمكن من خلالها الكشف عن مضمون المفهوم وتحديـــد معنـــى المصـــطلح ، وبواسطة تعريف المفاهيم نشير على نحو جلى إلى ماهية الموضوعات المنعكسة فـــى المفهوم وتكشف عن مضمون المفهوم وتدعم معرفتنا حول موضوعات العالم(٣)

---

(١) Ramsey .F.P., the Foundation of mathematics other logical Essy edt. by Braithwnaite .A. London ١٩٣١ PP. ٢٦١-٢٦٤.

(٢) ماهر عبد القادر: مناهج ومشكلات العلوم (الاستقراء والعلوم الطبيعية) دار المعرفة الجامعة –الإسكندرية ١٩٨٢ ،ص ١٦٢-١٦٤

(٣) الكسندرا غيتمانوف علم المنطق ، دار التقدم – موسكو –١٩٧٩ص ٦٩-٧٠

والمنطق لا يعنى بمشكلات التعريف الخاصة ، بل يعنى بمشكلاته العامة فهو لا يقصد إلى تعريف ألفاظ معينة مما يرد فى العلم أو الفن بل يقصد إلى فض المشكلات التى تنشأ فى التعريف كائنا ما كان اللفظ المعرف :

وسنعرض فى هذا البحث لمشكلة التعريف فى العلوم الاجتماعية والإنسانية على وجه الخصوص لأن هذه العلوم لا تزال فى طور النمو والتطور ولم تصل بعد إلى الدقة والموضوعية التى سبقتها إليها العلوم الطبيعية والرياضية ، ويعتبر التعريف أحد العقبات الأبستمولوجية التى تقف أمام تطور هذه العلوم (فلا تزال بعض مفردات ومصطلحات هذه العلوم تحوى الكثير من اللبس والغموض والعمومية وعدم الوضوح) وما زالت تحمل الطابع الفلسفي التأملى الخالص الذى يصعب معه الإشارة إلى الواقع الاجتماعى والإنساني وفهم مشكلاته وحلها.

إن التعريف يمثل أحد الطرق والوسائل المنهجية الهامة اللازمة لأى بحث علمى اجتماعى ويرجع ذلك إلى أن المهتمين بالنظريات الاجتماعية انصرفوا فى أوائل القرن العشرين عن استخدام المصطلحات وطريقة البحث المناسبة إلى محاولة التعبير عن وقائع الحياة الاجتماعية وما يسوءها من قيم باصطلاحات متبعة فى نظريات وعلوم أخرى فيزيقية أو فلسفية [٤]

ويقوم التعريف على تحديد البينة أو الهيكل الأساسى لمفهوم اللفظ تحديدا دقيقا وفصله عن غيره من المفاهيم الأخرى أو توضيح وتفسير موضوع معين ككل يتعلق به اللفظ المراد تعريفه لذلك يعتبره بعض العلماء والمناطقة قضية أولية تشرح المعانى غير الأولية بحدود المعاني الأولية ، فالتعريف كما يقول جون "أستيوات مل" (١٨٧٣م) عبارة عن قضية نعلن فيها المعنى الذى نعطيه للفظ معين ، وهذا المعنى إما أن يكون هو المعنى الذى اتفق الناس عليه فيما بينهم ، وإما أن يكون هو المعنى

---

[٤] Aly. A.ss., The Teaching and position of sacial sience in egypte Cairo Labrairay des letters. ١٩٥٦.PP-١٢-٢٣ .

الذى يريد المتكلم أو الكاتب أن يعطيه للفظ من أجل تحقيق غرض معين فيما يقول أو يكتب [٥]

والتعريف السابق لجون استيوارت مل يشير إلى أهمية الجانب الاجتماعى والإنسانى عند صياغة التعريف أو المصطلح ويؤكد فى نفس الوقت على أن التعريف لم يعد مجرد عملية عقلية ذات طابع فلسفى خالص . كما زعم الفلاسفة اليونان ومن سار على نهجهم ، فهو معنى متفق عليه بين الناس وسبب الاتفاق هو خبرتهم وتجاربهم الدقيقة الواقعية التى أكدت لهم صحته.

جذور محكمة التعريف :

يرجع الاهتمام بموضوع التعريف إلى فلاسفة اليونان وعلى رأسهم سقراط (٤٦٩ق.م) أو فلاطون (٤٢٧ ق.م) وأرسطو (٣٨٤ق.م) فقد كان سقراط يرى أن التعريف هو الذى نستطيع بواسطته أن نميز مفهوما مثل الشجاعة والفضيلة ، ونستطيع صياغة مثل هذه التعريفات عن طريق استقراء الأمثلة الخاصة بالمواقف الجزئية التى تعبر عنها الفضيلة أو الشجاعة عن نفسها[٦]

ولا يوافق "أفلاطون" على التعريف السقراطى الذى يستند على التعميم المبنى على الاستقراء الحسى أو التجريبى لأنه يرى أن التعميم لا يمكن أن يبنى على المعرفة الحسية الظنية ولذلك يجب عبور المعرفة الظنية التى اكتسبناها عن طريق الاستقراء إلى مستوى العلم الحقيقى الذى يستند إلى ماهية الشئ المراد تعريفه ، تلك الرابطة الصورية التى تضمن تماسك الحقائق والخصائص والصفات التى ينص عليها التعريف[٧] كما يؤكد أفلاطون على التعريف بالقسمة وتحصر القسمة عنده فى أنه إذا

---

[٥] محمود فهمى زيدان : مناهج البحث فى العلوم الطبيعية المعاصرة ، منشأة المعارف – الإسكندرية ١٩٨٩ ص ٥٣.

[٦] حسن عبد الحميد مقدمة فى المنطق الصورى ، مكتبة الحرية الحديثة – القاهرة ١٩٩٠ ص ٤٧ وما بعدها .

[٧] المرجع نفسه

أردنا تعريف شئما فإننا نبدأ بتقسيمه إلى فرعين وهكذا حتى نصل إلى معنى الشئ الأول[٨]

ونشير هنا إلى أنه بالرغم من رفض أفلاطون للتعريف بالمفهوم السقراطى القائم على التعميم الأستقرائى لكننا لا نجد اختلافا واضحا بين التعريف الأفلاطونى بالقسمة والتعريف السقراطى بالاستقراء فكلاهما يقوم على التجربة.

وقد تأثر بعض المناطقة العرب بمنهج القسمة الأفلاطونى حيث رأى رأوا أن القسمة تصلح للتحديد والتعريف فيذكر الحسن بن سوار (٣٣١هـ) أن من القسمة تقوم صناعة التحديد [٩] كما وجد التعريف بالقسمة تطبيقا واسعا عند علماء الكلام والأصول والنحاة (الذين رأوا أن القسمة المنطقية ترتبط بالتعريف ارتباطا المفهوم بالماصدق ، ذلك أن القسمة المنطقية ليست قسمة عقلية فحسب ، بل يعتمد فيها المقسم على الملاحظة والتجربة واستقراء الحقائق فنحن لا نقسم مجموعة من الأشياء أباً ما كانت بل نقسم أفراد جنس أو نوع له ماهية محدودة فى الذهن ، فلا بد بالتالى من العلم بتعريف الشئ المقسم وأن مجرد العلم بتعريف الشئ المراد تقسيمه لا يكفى لأنه لابد من معرفة الصفات الخاصة الذاتية وغير الذاتية التى تمتاز بها أنواع ما نقسمه ، ومن هنا فإن العلم بتعريف الشيئ المقسم وتعريفات أقسامه وصفاتها ضرورى فى القسمة [١٠] وقد انتقد أرسطو التعريف الأفلاطونى عن طريق القسمة وذهب إلى (أن القسمة قياس ضعيف) [١١]

---

[٨] Plato. Sophist, in Great Books. Of the western world translate by jenkinsene .Ganleimsene, London ١٩٦٧.PP-٥٥١-٥٥٣.

[٩]) محى الدين عثمان محسب ، الفكر اللغوى عند العرب ، مكتبة دار حراء – المنيا ١٩٨٨ ص ١٠٥

[١٠] د. على عبد المعطى د. محمد محمد قاسم المنطق الصورى أسسه ومباحثه ، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ١٩٨٥،ص ٢٠٣

[١١] عبد الرحمن بدوى ، منطق أرسطو ج١، وكالة المطبوعات الكويت ، دار القلم بيروت ،١٩٨٠ ص ٢٠٠

فالماهية عنده لا يمكن أن نبرهن عليها بالقسمة ويبدو الجانب المسيتافيزيقى واضحا فى إصرار أرسطو على أن الغرض من الحد هو التوصل إلى ماهية المحدود ولما كانت القسمة لا يتوصل بها إلى ذلك الغرض فقد هاجمها أرسطو .

علاقة التعريف بالتصور والتصنيف :

ويرتبط التعريف بكل من التصور والتصنيف ارتباطا وثيقا فالتصور يمثل الجانب الذهنى الخالص فى التعريف ، بينما يمثل التصنيف الجانب المادى والاجتماعى له ، وتصور التعريف وتصنيفه عملية ذهنية واحدة ما دام التعريف يرتبط بالمفهوم والتصنيف يرتبط بالماصدق ، وما دام المفهوم والماصدق وجهتى نظر للتصور فالتصور من وجهة نظر المفهوم هو ماهية واستخلاص الماهية هو التعريف وهو من وجهة نظر الماصدق جنس أو مجموعة أو صنف أو فئة ، واستخلاص الأجناس هو التصنيف ، وأننا عندما نعرف نصنف وعندما نصنف نعرف – ولكن التعريف سابق منطقيا على التصنيف فكل كائن كما يقول (رابيبة) يدخل فى فئة أو صنف أو يستبعد منها ، يمقتضى الطابع أو النمط المميز للفئة الذى يكون أولا يكون فالفرد يدخل فى فئة أو فى صنف إذا كان له الصفات المشتركة التى لأفرادها ، أعنى إذا كان له الماهية العامة التى يثبتها له التعريف، ولذلك علينا أن ندرس التعريف قبل التصنيف[١٢] والتصنيف أمر ضرورى للغاية بالنسبة للعلوم خاصة العلوم الاجتماعية والإنسانية لأنه من بين الأساليب التى تسهم فى التعرف على مكنونات الأشياء المصنفة ، وعندما نصف فكرة ما أو قضايا بعينها فإننا ننظر فى خصائص هذا الفكر وهذه القضايا بقصد معرفة ما يميز كلا منها ، حتى نضمه إلى فئته المناسبة وفى عملية تحديد المميزات والخصائص نركز على الجوهر والأساس فى هذا الفكر ، كما أن التصنيف يسهل

---

[١٢] د. عبد الباسط عبد المعطى ، اتجاهات نظرية فى علم الاجتماع ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ٤٤ أغسطس ١٩٨١ ، ص ٥٩-٦١.

عملية المقارنة والمضاهاة بين محتويات ما تم تصنيفه ، وفى العلوم الاجتماعية يرى الباحثون أن التصنيف لا بد أن تتوافر فيه عدة شروط أهمها.

١- ضرورة أن يكون التصنيف علمياً

٢- ضرورة أن يعبر التصنيف عن طابع العلوم الاجتماعية والانسانية ووظائفها ، وبالتالى طابع نظرياتها وخصائصها وموضوعاتها سواء كانت اجتماعية أو نفسية أو حيوية أو غيرها ، والإبقاء على الاتجاهات التى ترتبط بما هو سوسيولوجى أو سيكولوجى طابعا ووظائف .

٣- أن يكون التصنيف قادرا على التعامل مع الاتجاهات الهامة والأساسية [١٣] ولذلك علينا أن ندرس التعريف قبل التصنيف.

أقسام التعريف:

وفى ضوء ما سبق قسم المناطقة التعريفات إلى نوعين :

أولا: التعريف الماهوى Essential Definition أو التعريف الموضوعى Objectivl Defination وهو ما يسمى أيضا بالتعريف الحقيقى Real Definition وبين أرسطو أن الوصول. إلى الماهية لا يكون إلا بالجنس والفصل فيقول " يجب على من يجد أن يجعل الشئ فى جنسه ويضيف إليه الفصول وذلك أنه أولى بالدلالة على جوهر المحدود من كل ما فى الحد" [١٤]

إذن النقطة الأساسية فى التعريف الأرسطى هى أنه يهدف إلى الوصول إلى جوهر المعرف أو ماهيته والوصول إلى هذه الغاية يقتضى أن يصاغ التعريف فى عبارة تحمل معنى هذا الجوهر ، وكان أرسطو يقسم هذا التعريف إلى نوعين التعريف بالحد ومنه التام والناقص ويكون بذكر الجنس القريب مع الفصل – أو الجنس البعيد مع

---

[١٣] المرجع نفسه.

[١٤] Aristotle Postrior analytic , English Translat by jenkinsene, Great , Books, London. ١٩٦٧.PP-١١-١٤.

الفصل مثل تعريفنا للإنسان بأنه (حيوان ناطق) أو (كائن حى ناطق) ثم التعريف بالرسم ومنه التام والناقص أيضا ويكون بذكر الجنس القريب مع الخاصة أو الجنس البعيد مع الخاصة مثل تعريف الإنسان بأنه حيوان مثقف أو كائن حى مثقف ولم يعول أرسطو كثيرا على التعريف بالرسم لأنه عنده لا يزيد عن كونه مجرد وصف لا يحدد ماهية الشئ ولا يفصله عن غيره من الأشياء [١٥] ويرى بعض الباحثين أن أرسطو لم يعرف هذا التقسيم لأن فكرة الرسم لم يضعها ارسطو ولكن وضعها جالينوس متأثرا بالرواقية وأضاف الشراح الإسلاميون إلى هذا التقسيم الثلاثى تقسيما آخر هو تقسيم كل من الحد والرسم إلى تام وناقص ، ومن المرجح أن يكون الإسلاميون أخذوه من شراح الإسكندرية[١٦]

موقف العرب من التعريف الشيئ

انقسم العرب حول التعريف الشيئ إلى فريقين متباينين :

الأول: فريق يمثله الفلاسفة والمناطقة وأكثرهم يتفقون مع أرسطو فى أن التعريف الدقيق لا يكون إلا بالجنس والفصل ويؤدى إلى بلوغ ماهية الشئ فيذكر ابن سينا ٤٢٨هـ قائلا "أما الحدود الحقيقة فإن الواجب منها بحسب ما عرفناه من صناعة المنطق أن تكون دالة على ماهية الشئ وهو كمال وجوده الذاتى حتى لا يشذ عن المحمولات الذاتية شئ إلا وهو مضمن فيه إما بالفعل وأما بالقوة" [١٧]

والفريق الآخر ويمثله الأصوليون وأكثرهم: رفضوا التعريف بالماهية أو الحد واعترضوا أهمها.

١- أن الحد قد يذكر من غير أن يكون هناك سؤال

٢- أن الحد ليس معرفا للماهية أو موصلا لها لصعوبة التوصل إليها إن لم يكن استحالته، فحد الشئ عند الأصوليين هو الذى لأجله استحق الوصف المقصود ، أى

---

[١٥] مصطفى النشار ، نظرية العلم الأرسطية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٨١-٩٧

[١٦] د. على سامى النشار مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ سنة ١٩٧٨ص ٥٣-٥٤.

[١٧] ابن سينا ، الشفاء – الجدل ، تحقيق د. أحمد فؤاد الأهوانى ، الهيئة المصرية للكتاب ، ص ٤٥.

أن الحد الأصولى يتوقف على ما هو الغرض من الحد ، وهل هو حصر الذاتيات أو مجرد التمييز فيقول ابن تيمية (٧٥٨هـ) " إن التعريف بالماهية لا يعبر عن حقيقة المحدود فالإنسان قد يخطر له الإنسان ولا يستحضر شيئا من صفاته ، فهذا تصوره تصورا مجملا ، وقد يخطر له مع ذلك أنه ناطق كما قد يخطر أنه ضاحك. فما من صفة لازمة إلا ويمكن وجودها فى التصور المفصل[١٨]

وتتفق معظم الاتجاهات الفلسفية والمنطقية والعلمية المعاصرة فى التعريف مع الإسلاميين في رفض الشيء الأرسطى وذهبوا إلى أن هدف التعريف هو تحديد الطريقة التي تستعمل بها كلمة من كلمات اللغة فهؤلاء لا يريدون بالتعريف أن يحددوا ماذا يجعل الشئ هو ما هو بل أن يحدد ماذا يجعل الشئ حقيقيا بأن يطلق عليه اسم من الأسماء أى ما الصفات التي اتفقنا أو أن نتفق على أن تكون أساسا للتسمية انهم لا يبحثون عن الجوهر المفروض علينا نحن بحكم ما تواضعنا عليه فى طريقة استعمالنا للغة فى التفاهم أى لم يعد الهدف من التعريف هو بلوغ ماهية الشئ أو جوهره أو الصفات التى بغيرها يبطل الشئ ، ولكن أمامها نقطة يتداولها الناس وتريد أن تضمن أنهم يتداولونها بمعنى واحد [١٩]

وقد حسم فيلسوف العلم المعاصر "ألفرد آير" أحد رواد الوضعية المنطقية التفرقة بين العبارات الشيئية والعبارات الشارحة فقال " إن العبارات الشيئية هى من مكونات

[١٨] ابن تيمية : الرد على المنطقيين ، دار المعرفة ، مكة المكرمة ، ص ١٤-١٥.د.ت
[١٩] زكى نجيب محمود: المنطق الوضعى، ج١ ،مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٧٣ ،ص ١٢٦-١٢٧.

النظرية العلمية وتعبر عنها أما العبارات الشارحة فهى تنتمى إلى ميدان آخر يختلف عن ميدان العلم نفسه أنه ما يسمى بفلسفة العلوم ، وبالطبع لا تكون العبارات التى تقال عن عبارات أخرى فلسفة علمية ، لكن العكس صحيح . أى أن كل جزء من فلسفة العلوم هو عبارة شارحة لعبارة أخرى[٢٠]

كما عبر الفيلسوف الأمريكى المعاصر أرفنج كوبى عن ذلك قائلا "لابد أن يكون التعريف بطبيعة الحال دقيقا واضحا يجلو الغموض فى الشئ ومعناه والخلاف بعد ذلك يكون فى التساؤل عن أى الصفات تكون جوهرية وأيها تكون عرضية ، ولهذا نراه ينتقد النظرية الأرسطية للتعريف التى تعتبر أن الصفة تكون أساسية للشئ وجوهرية فيه إذا ما كان فقدها بالنسبة للشئ يعنى عدم وجود الشئ نفسه ، بينما تكون الصفة عرضية إذا ما بقى الشئ بماهيته وأمكن تعريفه بذاته بدون هذه الصفة العرضية" [٢١]

ويرفض كوبى هذا التميز ويرى " أنه ليس تميزا موضوعيا ولا تمييزا داخليا بين أنواع الصفات المختلفة للشئ ولكنه فقط إبراز للاختلاف بين البشر وانعكاس للخصائص المختلفة للمفردات اللغوية وتتضح نسبية هذا التمييز تبعا للاختلافات بين البشر على أساس اختلاف اهتماماتهم [٢٢]

---

[٢٠]Ayer. A.j., The philosophy of science, scientific thought in The twentieth century philosoply the analytic Tradiation, edited and with an introduction by Mortis weitz the free press, New York, collier Macmillan Limited London ١٩٦٦.p٣

[٢١]مصطفى النشار ، نظرية العلم الأرسطية ، ص ٨١-٩٧.

[٢٢]Copi I., Introduction to logic ٣rd edt London . ١٩٦٩,p.١٨٢

مراحل التعريف

ومما سبق يمكن القول أن التعريف يمر بمرحلتين أساسيين :

المرحلة الأولى : المرحلة الوصفية

نتوقف فيها عند بعض المعارف أو الموضوعات المتعلقة بالموضوعات قيد الدراسة والتى من شأنها تمييز الموضوع عن غيره أى أننا فى هذه المرحلة لن نصل إلى لب الأشياء وجوهرها من الوهلة الأولى وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة الوصفية وفى هذه المرحلة لن تظهر قدرتنا على التحليل والتركيب أو الفصل والوصل ، وفيها يكون العقل عرضة للوقوع فى الخطأ واللبس عند تعريفه للأشياء ، ولهذا يتأرجح العقل بين المحاولة والخطأ.

المرحلة الثانية :

وفيها يستخدم العقل قوى التحليل والتركيب ويتعمق داخل الأشياء حتى يصل إلى صفاتها الجوهرية المتأصلة ويكون العقل على العتبة الحقيقية للعلم ويستطيع بعدها تقسيم الأشياء إلى أنواع يختلف كل واحد منها عن بقية الأنواع [٢٣]

وهناك من المناطقة من لا يعتبر الوصف من التعريف بل ويفرق بينهما تفرقة واضحة حاسمة مثل (ولتون) **Welton** الذى يرى أن الوصف لا يهتم بالناحية الجوهرية من الصفات لكنه يهتم ببيان الطبيعة العرضية للأشياء ، التى لا تكفى من وجهة نظره لتحديد الشئ وتعريفه فالوصف عنده يعتمد على الخيال والذاكرة ، بينما يعتمد التعريف على الفكر ، وإذا كان الوصف يقترب أحيانا من التعريف إلا أنه تعريف غير دقيق وغير كاف ، ويسميه ولتون (التعريف الوصفى) [٢٤]

والتعريفات الوصفية هى أكثر أنواع التعريفات استخداما فى العلوم الاجتماعية والإنسانية إلا أن هناك العديد من المشكلات التى يصطدم بها الباحث الاجتماعى عند

---

[٢٣] Lata and Macbeth, The Elements of Logic Macmillan press London. P. ١٤٠

[٢٤] Welton . Introduction Logic, Macmillan press, London P .٤٢

استخدامه لهذه التعريفات ونذكر منها على سبيل المثال تعريف مفهوم الحداثة فهذا المفهوم يعد من المفاهيم المستعصية على التحديد أو التعريف عند العلماء والسبب فى استعصاء هذه الكلمة ووجود إشكالية دلالية سيمنطقية فيها يعود إلى عدة أمور نذكر منها ، السبب الفنى ، والسبب اللغوى ، والسبب المعرفى ، والسبب الوصفى.

١- السبب الفنى: فحقيقة المصطلح هو أنه اتفاق طائفة معينة على تسمية شئ معين باسم معين ، وحقيقة التعريف أنه وصف لواقع ما ، هذه الناحية الفنية فى الاصطلاح والتعريف سببت اشكالا فى دلالة لفظ الحداثة ، وذلك أن تعين الطائفة وتعين الاسم دون تعين الشئ ينتج الضابية والاضطراب فى الدال والمدلول وتعيين الوصف دون ضبط الواقع وزوايا النظر إليه مما ينتج الارتباك فى الحد ، ويمس بماهية الشئ أو الواقع المراد تحديده ، أما عدم تعيين الشئ أو المضمون فعائد إلى أمور منها:

أ-التذبذب فى حقيقة البعد الزمانى والمكانى للفظ فمن المحققين من يلح على ارتباطه بالمفهوم ومنهم من يقلل من شأنه مركزاً على عالميته ومحاولا إفراغه من أى بعد زمانى مرحلى أو مكانى جغرافى .

ب-الحيرة فى تحديد الأسبقية ، أسبقية الحدث (أو الممارسة) أم اللفظ (أو النظرية) أو بعبارة لسانية : أسبقية الدال أم المدلول.

ج-الاضطراب فى تحديد مصدرية أسس الحداثة أو مصدر استمرارها المعرفى، إذا أن هذا التحديد حبيسى حل إشكال الثقافة بين المركزية أو العالمية ، وإشكال المعرفة بين القطيعة الأسقية أو الوصلة ، وأما عدم تعين الواقع وزاويا النظر إليه لاضطراب التعريف فذلك لأن التعريف أى تعريف ، باعتباره وصفا لواقع ما يقتضى سبق الواقع على الوصف ، فإذا حصل سبق الوصف على الواقع كما هو رأى بعض المحققين فى أسبقية الممارسة على النظرية **Practice often Precedr theory** أو الحدث على الاسم حصل الارتباك والاضطراب والتشويش فى مطابقة الوصف بواقعة ونجم

عن ذلك محاولات التأويل والتعميم والتلفيق [٢٥]أما إذا قلنا بسبق الواقع على الوصف فتكون الإشكالية البارزة فى التعريف آتية من عدم ضبط واقعة الناجم بدوره عن طبيعة هذا الواقع المراد وصفه ، وطبيعة واقع الحداثة تتميز بخاصتين هما عدم الثبات وعدم الكمال.

فعدم الثبات لأن الحداثة نسق معرفى متصاعد لا نهاية له ، فهى التغير المستمر والصيرورة الدائمة والسيرورة الدائبة والسعى غير المنقطع [٢٦]

٢-السبب المعرفى : ليست المعرفة بغض النظر عن تعريفها وحدة غير منفصمة فهى متعددة الموضوعات والمناهج والشعب إن هذا التباين المعرفى من الأسباب التى سببت إشكال تعريف الحداثة ، ذلك أنه يعنى بها فى الفن غير ما يعنى بها فى الفلسفة أو علم الاجتماع أو الاقتصاد أو السياسة[٢٧]

٣- السبب الوصفى :

إن التعريف مهما اختلفت صوره لا يتعدى فى واقعه عن كونه وصفا لواقع ما، إنه الدقة فى الوصف واختيار اللفظ المناسب له مما يبلور عملية الفهم والوعى على الواقع والتعامل معه ، فالغالب على العامة والخاصة اختزال المفهوم مهما كان معقدا فى بنيته ووظيفته فى كلمة سواء أكانت هذه الكلمة تعبر عن مدلول رياضى أو فلسفى أو سياسى أو اجتماعى أو غير ذلك ، فإن حسن اختيارها يجعل منها مقياسا يقاس به الواقع ويبلور به الوعى ، وإن عجز الإنسان عن التعبير عنه بغير اللفظ ذاته ، إن الأوصاف التى ننتقيها للتعبير عن الواقع فى محاولة منا لشرحه أو لحده أو لتقريب مطابقة للواقع أو مقاربة له حتى تتأدى وظيفتها ، كما يجب أن تكون هذه الأوصاف منسجمة مع موضوع الواقع متناسقة مع جنسه[٢٨]

---

[٢٥] نايف العجلونى الحداثة والحداثية (المصطلح والمفهوم) مقال بمجلة أبحاث اليرموك ، الأردن ١٩٩٥ ص ١٠٥-١٣٩

[٢٦] المرجع نفسه.

[٢٧] المرجع نفسه.

[٢٨] نقلا عن رضوان جودت زيادة صدى الحداثة ، المركز الثقافى العربى ، لبنان ط١ سنة ٢٠٠٣ ص ٣٧.

ثانيا: التعريف الأسمى :

ويلعب هذا التعريف دورا أساسيا فى صياغة التصورات المتضمنة فى النظريات العلمية ، فالتصورات العلمية لابد من تعريفها لأن أصحابها يرون أن التعريف هو دائما تقرير عن اللفظ لا عن الأشياء والتعريف عندهم إنما هو تحديد للطريقة التى تستعمل بها كلمة من الكلمات .. إن الأسميون لا يبحثون عن الجوهر أو الماهية وإنما يبحثون عن معنى اللفظ المفروض علينا بحكم ما تواضعنا عليه فى طريقة استعمالنا اللغة فى التفاهم ، أى أننا لا نتطلب من التعريفات إلا تحديد الصفات التى بغيرها يبطل استعمال الكلمة التى تحدد معناها ، فلا شأن لها بطبيعة الشئ ذاته [٢٩] وبواسطة التعريفات الأسمية تدخل المصطلحات الجديدة والأسماء المختصرة بدلا من الأوصاف المعقدة للموضوعات ، كما تدخل أيضا الرموز التى تحل محل المصطلحات مثل (رابطة الوصل) يرمز إليها بالرمزين ^ و& وكثيرا ما يكشف فى التعريفات الأسمية عن الاشتقاق اللفظى لهذا المصطلح أو ذاك مثل مصطلح الفلسفة يتحرر من الكلمتين اليونانيتين (فيلو) أحب وسوفيا (الحكمة) [٣٠]

ويعد "جون استيوارت" مل من أبرز المؤيدين لهذا التعريف فيقول إن أبسط مفهوم للتعريف وأكثر المفاهيم صحة هو أن التعريف قضية شارحة لمعنى لفظ من الألفاظ ، أعنى أما أن يكون المعنى الذى هو موضع تسليم من الناس بوجه عام أو المعنى الذى يريد المتكلم أو الكاتب أن يعطيه للفظ وذلك لأغراض خاصة يهدف إليها من حديثه[٣١]ومن الفلاسفة المعاصرين يعتبر "ماكس بلاك " وبرتراند راسل" (١٩٧١) من أبرز المؤيدين لهذا التعريف فقد كان "راسل" لا يعترف إلا بالتعريف الأسمى ، كما أكد "ماكس بلاك" على أن التعريف هو دائما تعريف للألفاظ وليس للأشياء وإلى مثل

---

[٢٩] محمد مهران ، المدخل إلى المنطق الصورى ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٦ ص ١٠٦

[٣٠] الكسندراغيتما نوف علم المنطق ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧٩ ص ٥٨

[٣١] Mill j.S., System of logic, Longmon, London, ١٩٧٠, P.١٠٥.

هذا ذهب جميع المناطقة الوضعيين[٣٢] وعند الأسميين ليس ثمة ما يدعو إلى القول بأن هناك تطابقا كاملا بين الاسم والمسمى أى الشئ الذى يعبر عنه هذا الاسم ومن ثم فالتعريف عندهم يجب أن يكون تحليليا وذاتيا ولفظيا ، والتمييز بين التعريف الأسمى والتعريف الحقيقى يمكن أن يتلاشى إذا قبلنا الرأى القائل بأن المنطق يهتم لا بالأسماء ولكن بالحدود وهى أسماء ذات دلالة ومضمون فى عالمنا الذى نحياه أى ذات مفهوم وما صدق ، أما الاسم وحده أو مجرد الاسم فلا يمكن تعريفه . وتؤيد "سوزان استبنج" مع هذا المفهوم فترى أننا نستطيع أن نعرف اللفظ حينما نعرف ما يشير إليه هذا اللفظ أو حينما نستطيع استخدامه فى تأليفات مع الكلمات الأخرى [٣٣]

كما أشار كل من "كوهين" و"تاجل" إلى نفس المعنى فقالا إن الأغراض المنطقية للتعريف هى تحديد البنية أو الهيكل الأساسى لمفهوم اللفظ تحديدا دقيقا ومفصله عن غيره من المفاهيم الأخرى أو توضيح وتفسير موضوع معين ككل يتعلق به اللفظ المراد تعريفه[٣٤]

وقد أشار العالم العربى "جابر بن حيان" ١٩٨هـ فى القرن الثانى الهجرى إلى أهم سمات التعريفات الأسمية وخصائصها قبل الفلاسفة المعاصرين بقرون عديدة وأهم هذه السمات هى سمة التطور والتجدد فهى متطورة ومتجددة بتجدد الأحداث والمنجزات العلمية فنراه يعبر عن هذه الفكرة بدقة فيقول يأتى دائما اليوم الذى تصبح فيه معانى الألفاظ المسجلة فى المعاجم والقواميس مختلفة وغير كافية للدلالة على الحادثات والمنجزات الجديدة التى يتم الكشف عنها من خلال تقدم المجتمع وتطوره الذى لا ينقطع بما أن اجتماع الناس ما كان ولن يكون بحكم الطبيعة البشرية . كلياً أو عاماً فى

---

[٣٢]Blak.M., Critical Thinking, Prantico. Hall, New York, ١٩٥٠. P. ١٨٧.
[٣٣]Stebbing .S. Amodern introduction to Logic, Second edition ch, Asia publishing House London, ١٩٦٠. P.٤٢١.
[٣٤]Cohen. M. R., and Nagel. E., An Introduction To Logic and Scientific Method, London, Routledge and Kegyen paul ,١٩٦٤. PP. ٢٣١-٢٣٣.

أى أمر من الأمور . فإن اللفظ الواحد قد يهتم بأكثر من معنى . الأمر الذى ينتج عنه اللبس والغموض وسوء الفهم ، ويصبح من الضرورى حينئذ أن نترك جانب المعانى المعجمية للألفاظ وأن نحدد لها معنى اشتراطيا فألفاظ مثل "طبقة" و"ديمقراطية" واشتراكية ....إلخ مما يستخدم فى العلوم الاجتماعية والإنسانية على السواء من كلمات هى ألفاظ قد تفهم بأكثر من معنى [٣٥] ويعتبر مصطلح الحداثة الذى عرضنا له عند الحديث عن التعريف الوصفى نموذجا بارزا لهذه المصطلحات.

ويرى عبد الرحمن بدوى "رحمه الله" أن التعريفات الأسمية لا تختلف كثيرا عن التعريفات الشيئية فى الهدف والغرض فيقول (تعريفات المعاجم هى فى الأصل تعريفات للأشياء لا للألفاظ التى استعلمت فيها الألفاظ وأن يسجلها كما وردت فى الآثار الرئيسية التى خلفتها اللغة ، واللفظ فى هذه الحالة ، إذن يكون شيئا معلوما سابقا لا مجال للاختراع فيه وتعديل المعانى وإنما يسجل فقط ما حدث فى عصر معين وبيئة معينة عن كاتب معين[٣٦]

ويعلق "يحيى هويدى" على تعريف "عبد الرحمن بدوى قائلا : أن هذا التعريف أقرب ما يكون إلى التفسير المادى الذى يهتم بمادة الفكر فى المقام الأول. وهو بذلك يسير فى عكس الاتجاه الذى صار عليه المناطقة الوضعيون الذين عنوا بصورية الفكر لأنهم كانوا يهتمون بانسجام الفكر فى بناء الحقيقة الموضوعية وهو أمر وثيق الصلة عندهم تجربة عالم المنطق وعالم الرياضيات فى وضع ما يشاء من تعريفات ومصادرات ، كما أنهم اهتموا بالهيئة العامة التى تكون عليها ألفاظ القضية ضار بين الصفح عن هذه الألفاظ وعن معناها فى الوقت نفسه . فالقضية عندهم جردت ألفاظها من معانيها . وبالتالى ليس فيها قضاء بالحكم وليس فيها نسبة بين طرفى ،وإنما هى رموز تولد رموزا أخرى[٣٧]

---

[٣٥] حسن عبد الحميد : مقدمه فى المنطق الصورى، ص ١٠٤

[٣٦] عبد الرحمن بدوى: المنطق الصورى والرياضى، دار المطبوعات ، الكويت ،ط٥ ،١٩٨١ص ٧٥

[٣٧] يحيى هويدى : ما هو علم المنطق ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،١٩٦٦ ،ص ٥٨-٦٠

ونفس المعنى نراه أيضا عند زكى نجيب محمود الذى يقول (إن الكلمة الواحدة التى هى اسم لشئ ما ، والجملة التى هى مركب من مجموعة كلمات يراد بها أن يصف واقعة ما. والجملة التى هى مركب من مجموعة كلمات يراد بها أن يصف واقعة ما. بغير معنى إذا لم تكن هذه أو تلك مشيرة فى نهاية الأمر إلى خبرات حسية ، فالاسم ذو دلالة إذا لم يكن مسماه موجودا ، وتمكن الإشارة إليه ، ولا القضية بذات دلالة إذا لم يكن تحقيقها ممكنا على أساس خبراتنا الحسية [٣٨]والأسباب السابقة هى التى جعلت الوضعية المنطقية ترفض العبارات الميتافيزيقية لأنها عندهم تعنى شيئا خارج حدود الخبرة الحسية ، فهى بحكم هذا الاعتراف نفسه عبارة بغير معنى وعبارة لا تقبل التحقق وقد صاغ رودلف كازناب (١٩٧٠) أحد رواد الوضعية المنطقية معيار التحقق قائلا : إن معنى القضية يكون فى طريقة تحقيقها منه بالنسبة لها ، ومن ثم إذا كانت العبارة تستخدم لإثبات شئ ما ، فإنه لا يمكن استخدامها إلا لإثبات قضية تحريبية فحسب[٣٩]

وانتهى كارناب فى تحليله للغة واستخراج قوائمها المنطقية إلى تفرقته الواضحة بين الجملة حين تكوينها مطابقا للواقعة من وقائع العالم الخارجى مطابقة مباشرة ، والجملة حين لا تكون كذلك ، فإذا كانت الجملة من النوع الأول جملة لغوية بمعناها الصحيح، فالجملة من النوع الثانى هى فى الحقيقة شبه جملة لأنها تشبه الجملة الحقيقة فى ترتيب ألفاظها ، ولكنها لا تؤدى ما تؤديه ، ولنا أن نسمى الجملة من النوع الأول بالجملة الشيئية لأنها تشير إلى شئ معين ، وأن تسمى الجملة من النوع الثانى بالجملة الشارحة[٤٠]

---

[٣٨] زكى نجيب محمود: نحو فلسفة علمية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١، ١٩٥٧ ،ص ٦٩

[٣٩]Carnap R. The Elimination of Metaphysics Through logical analy of longaug Reprinted in English translation in A.J.Ayer(ed) logical positivism, free press, ١٩٥٩, P.٧٦.

[٤٠] زكى نجيب محمود : نحو فلسفة علمية ،ص ٧٨-٧٩

والخلاصة إن اللفظة اللغوية عند الوضعيين المنطقيين إذا قطعت الصلة نهائيا بينها وبين ما تشير إليه فى عالم الواقع تعيش فى الجملة اللغوية مع الألفاظ الأخرى فى لوحة لفظية مجردة أو فى واقع جديد تتغير صورتها أمامك إذا قدمت لفظة على أخرى ، أو أخذت اللفظة التى فى أول الجملة ووضعتها فى آخرها ، ثم نقلت اللفظة التى كانت فى آخر الجملة فوضعتها فى أولها .... إلخ[٤١]

إذن يتحدث الوضعيون المنطقيون عن الواقع ويقصدون به فقط الواقع اللفظى للجملة ، ويتحدثون عن العلاقات بين الكلمات ولا يعنون بهذه العلاقات إطلاقا العلاقات القائمة بين معانى هذه الكلمات والتى يترتب على تغير ترتيبها تغير فى معنى العبارة ، بل يعنون فقط العلاقات القائمة بين الكلمات مجردة عن معانيها[٤٢]

وعلى ذلك يصبح المعيار المنطقى لاسم العلم هو أن اسم العلم رمز بسيط يشير بشكل مباشر (بلا واسطة) على فرد يكون معناه ، ويكون الرمز فى حد ذاته هذا المعنى استقلالا عن معانى الكلمات الأخرى ، فاسم العلم بالمفهوم المنطقى هو ما تقتصر دلالته على ما يشير إليه ، وليس معنى زائدا على إشارته فهو رمز مكتمل غير ناقص والإشارة بالمعنى الدقيق لهذه الأسماء علاقة بين الاسم والمسمى ولذلك فإن أفضل مثال لأسماء الأعلام أسماء الإشارة مثل هذا وهذه ....إلخ[٤٣]

---

[٤١] يحيى هويدى: ما هو علم المنطق، ص ٥٩-٦٠.
[٤٢] المرجع نفسه.
[٤٣] March.R., Logic & knowledge . London. G. Allen & Uniun, ١٩٥٥.PP٣٩-٥٦.

وقد انتقد "كارل بوبر" (١٩٩٤) موقف الوضعيين من التعريف الأسمى الذى اعتبروه المهمة الرئيسية للفلسفة وعرفوا فى التحليلات اللغوية فقال " لقد تردى الوضعيون فى مهاوى التحليل اللغوى بسبب أو بهدى رائدهم (فتجنشتين ١٩٥١) الذى قصر الفلسفة بأسرها على التحليلات هادفا الوضوح والصياغة الدقيقة لتعريفات المفاهيم ، ولكنه نسى أن اللغة أساسا تستعمل فى وصف العالم ، ربما هدف التحليل إلى تلميع النظارات كى يحظى برؤية واضحة للعالم [٤٤]

ثالثا: التعريف الإجرائى:

التعريف الإجرائى هو قريب الصلة بالتعريف الأسمى الذى يجعل تعريف الكلمة إحلالا لكلمة أخرى محلها بحيث يظل المعنى فى الحالتين واحدا ، إلا أن التعريف الإجرائى إنما يعنى أنه إذا اختلف اثنان على معنى لفظه بذاتها ، طلب أحدهما إلى الآخر أن يعين له نوع الإجراءات العملية التى يريد للفظة أن تشير إليها فإذا اتفق على مجموعة الإجراءات فقد بات الاتفاق على معنى اللفظ أمرا محتوما وهذا هو الفهم البرجمانى للتعريف الإجرائى [٤٥] وفى العلوم الإنسانية والاجتماعية التعريف الإجرائى هو مجموعة من الإجراءات التى تصف الأنشطة التى يؤديها الملاحظ كى يستقبل انطباعات محسوسة (أصوات انطباعات بصرية) وغيرها تشير إلى وجودا أو درجة وجودها فى المفهوم النظرى ، ويجب أن تكون التعريفات الإجرائية مستقلة عن الزمان والمكان حتى تستخدم فى محيطات محسوسة مختلفة وفى أزمنة مختلفة[٤٦]

أى أن تعريف الكلمة أو العبارة هو إحلال المجموعة السلوكية التى يسلكها الإنسان فى دنيا الواقع عندما يجوز للمتفاهمين باللغة أن يطلقوا تلك الكلمة المراد تعريفها أى

---

[٤٤] Bryan Magee. Karl popper, editted by Modern frank kermod, Viking press. New York Second edition ١٩٧٣ P.١٣٨

[٤٥] زكى نجيب محمود المنطق الوضعى الجزء الأول ص ١٤١-١٤٢

[٤٦] أحمد مصطفى خاطر ، عدلى على طاحون : بناء النظرية الاجتماعية ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية ١٩٩٥، ص ١٠٦-١٠٧

أنه إذا أتفق المتفاهمان على السلوك العملى المعين الذى يكون معنى الكلمة المراد تحديد معناها ، انحسم بذلك كل خلاف فلتكن اللفظة المصطلح على استعمالها ما تكون، مادام هناك اتفاق على ما يعمل فالإجراءات العملية وحدها هى التى تحدد معانى الألفاظ فى نهاية الأمر . وهنا ما أكدت العلوم الإجتماعية والإنسانية فبعد أن كان العرف المنطقى قد جرى على منوال النظرية الأرسطية فى التعريف وهو أن يكون تعريف فكرة معينة هو تحليلاً لها فى حد ذاتها أى يكفى أن تمعن النظر فى المفهوم العقلى وحده لترى مقوماته التى منها يتألف والتي بها يتميز عن سائر المفاهيم الأخرى لتكون قد بلغنا غاية المدى فى تعريفه وهذا هو أيضا ما عناه "ديكارت" حين اشترط أن تكون الفكرة التى يقبلها " واضحة " و"متميزة " .

إن التعريف الإجرائي هو مفهوم مجرد فى حدود إجراءات بسيطة قابلة للملاحظة مثل تعريف الذكاء بأنه ما تقيسه اختبارات الذكاء أو تعريف الطبقة فى حدود الدخل[٤٧]، لقد أصبح التعريف الإجرائى يدخل ضمن نطاق أى بحث علمى خاصة فى العلوم الاجتماعية وعلى رأسها علم الاجتماع ، ويمثل هذا التعريف احد المؤشرات التى تشير إلى ظاهرة معينة موجودة أى أنه ما يعتمد على السلوك ووصفه وصفا دقيقاً ويحدد لنا بطريقة واضحة ودقيقة كيفية قياس هذه الظاهرة . بمعنى آخر أن هذا التعريف يحدد لنا المفهوم باستخدام ما يتبع فى ملاحظاته أو قياسه أو تسجيله ، فإذا قلنا مثلا ما هو الذكاء ؟ كان تحديدنا له بأنه هو الذى يقيمه مقاييس الذكاء .[٤٨]

إن العلوم الإجتماعية تستعين بالتعريفات الإجرائية لتحديد المعانى المختلفة للمفاهيم التى يستخدمها الباحثون فى دراستها ، ومن خلالها يستطيع الباحث ترجمة هذه المفاهيم إلى وقائع من الممكن ملاحظتها أثناء إجراء الدراسة وهذه التعريفات لا تتقيد بالشروط المنطقية فى التعريف ، الا أنها تصل بالمفاهيم إلى أقصى ما يستطيعه الباحث من

---

[٤٧] جمال الطحاوى: مدخل إلى البحث الاجتماعي مطبعة التيسير، المنيا –١٩٩٨ ص ١٨٢ – ١٨٨)
[٤٨] M. Gyigen frank " Experimental pasychology . New york . 1979 . p . 190 .

الوضوح فى ذهنه وذهن الذى يقرأ البحث ، وهناك مشكلة ما تزال مطروحة بقوة فى العلوم الاجتماعية والإنسانية وهى أن بعض مفاهيم هذه العلوم لا يمكن تعريفها إجرائياً، لآن سهولة التعريف الإجرائي تتوقف على تقدم المقاييس العلمية ولا شك انه بتقدم وسائل القياس فى العلوم الاجتماعية سيصبح من الممكن استخدام هذه التعريفات الإجرائية على نطاق واسع[٤٩]، لكن يواجه الباحثون فى العلوم الاجتماعية مشكلة أساسية عند إجراء الدراسة و هى تحديد متغيراتها حتى يمكن له التعبير الكمي عن المتغير ، أن عليه مهما كانت تعريفاته المنهجية لمفاهيم بسيطة أو مفصلة أن يجد طريقا لترجمة هذه التعريفات إلى أحداث يمكن ملاحظتها . بمعنى آخر أن الباحث عليه أن يبتكر عمليات تمكنه من الحصول على مادة يستطيع أن يتقبلها برضى كمؤشر لمفهومه ، وبهذا يمكن له الوصول إلى تعريف عاملى لمفاهيمه .[٥٠]

أن التعريفات الإجرائية هى تحديد العمليات الضرورية لكي يصل الباحث إلى مقاييس للمفهوم ، وتصبح هذه التعريفات ملائمة حين تؤدى الأدوات أو الإجراءات التى تعمم على أساسها إلى جمع مادة تعتبر مؤشرات كافية للمفاهيم ،ويقدم كيرلنجز Kerlinger وصفاً مفصلاً . لمعنى التعريف الإجرائي للمفاهيم حيث يقول أنه تعريف يحدد معنى التكوين الفرضى أو المتغير بتحديد الأنشطة أو العمليات اللازمة لقياس هذا التكوين الفرضى أو المتغير أى أنه بمعنى آخر تحديد الأنشطة الباحث فى قياس ومعالجة المتغير وتوضيح ماذا يجب أن يفعله الباحث كى يقيس المتغيرات أى انه أيضا عبارة عن كتاب تعليمات الباحث وتكمن صعوبة تطبيق الإجراء فى بعض مسائل العلوم الاجتماعية والإنسانية فى أن المتغيرات النفسية الباطنية يصعب التعامل معها بشكل مباشر ، ويكتفى الباحثون بالملاحظة والمتابعة للنتائج المترتبة عليها وهو ما دفع

---

[٤٩] د. عبد الباسط محمد حسن - أصول البحث الاجتماعي ،مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٧٧ ص ١٨٧).

[٥٠] محمد الغريب عبد الكريم : البحث العلمي "التصميم والمنهج والإجراءات . مكتبة نهضة الشرق ، ط ٣، ١٩٨٧ ص٥٢ .

بعض العلماء إلى القول بقصور الإجرائية كمنهج للعلم الإنسانى ولكن مع ذلك نجحت العلوم الاجتماعية والإنسانية فى تطبيق الإجرائية حل الكثير من المشكلات.

ويمكن القول إن التعريف الإجرائى هو الطريق الصحيح الذى يصل بين المفهوم والظواهر الملاحظة وعليه لن يستطيع الباحث أن يتفادى وضع تعريفات إجرائية لمفاهيمه[٥١]، كما يسهل التعريف الإجرائى عملية الاتصال العلمى بين العلماء ، لأن معنى المصطلح سوف تتضح تماما فمشكلة فهم معنى المصطلح ستذوب وتصبح المشكلة كلها فى محاولة التعريف على الإجراءات المستخدمة فى البحث إن هذه التعريفات الإجرائية سوف تمنع ترديد الأسئلة الغامضة عديمة المعنى مثل سؤال هل تستطيع تغير الطبيعة البشرية ؟سوف نكشف توا انه سؤال غامض من الناحية العلمية فما هى الأسباب التى تستطيع بها قياس الطبيعة البشرية ؟ كيف نعرف تغيرها ، بل وما هو التعريف الإجرائي للطبيعة البشرية ؟ وعلى ذلك فالتعريفات الإجرائية توفر على الباحث وقتا ومجهوداً كبيرين.

إن معنى أى مصطلح علمى يجب أن يتحدد بالإشارة إلى عملية إجرائية اختبارية محددة توفر محكاً لتطبيقه ، ومثل هذه المحكات غالباً يشار إليها باعتبار أنها تعريفات إجرائية ومسالة ما إذا كانت هذه التعريفات بالمعنى الدقيق ، فالمدرسة الإجرائية تصر على محكات التطبيق الإجرائى الجلية لكل المصطلحات العلمية وتهدف لذلك إلى تأمين قابلية الاختبار الموضوعية .[٥٢]

فهناك مفاهيم مثل "الإتجاه السياسى" "الدور" ، "واقع العمل" ، "الديمقراطية" ، "الإحباط" ، ليس من السهل تعريفها بمجرد الإشارة إلى موضوعات خاصة سواء كانت هذه الموضوعات أفراد أو أحداث،ويرجع ذلك إلى أن هذه المفاهيم على مستوى عالى

---

[٥١] المرجع نفسه .

[٥٢] كارل هامبل : فلسفة العلوم الطبيعة ، ترجمة وتعليق " جلال موسى" تقديم محمد على أبو ريان ، دار الكتاب المصرى – دار الكتاب اللبنانى ١٩٧٦ ص ١٢٨ – ١٣٨ .

من التجريد للأحداث الملموسة و الواقعية،ويمكن التغلب على هذه الصعوبة بالتعريف الدقيق للمفاهيم والاستعانة الإجرائية المناسبة ،ولكن هناك مصطلحات تستخدم فى العلوم الاجتماعية والإنسانية لا تقبل الاختبار مطلقا لهذا يرفضها أنصار التعريف الإجرائى مثل تعريف مصطلح الزمان بأنه" الزمان المطلق" فإننا نجد صاحب التعريف الأجرائى يطلب من صاحب هذا التعريف أن يأتي بالتجارب التى تجرى على الطبيعة والتى يمكن أن يطلق عليها هى نفسها اسم" الزمان المطلق" فإذا لم يكن هناك شيئ من هذا كانت عبارة (الزمان المطلق) بغير معنى مفهوم فالاسم كائنا ما كان إنما يتحدد مسماه عندما يتحدد نوع الإجراءات العملية التى يمكن إجراؤها ، فما الاسم إلا اسم لهذه الإجراءات العلمية نفسها .[٥٣]

وإذا كان اللفظ يشير إلى مفهوم عقلى كالمفاهيم الرياضية مثلاً ، كانت الإجراءات التى تحدد معناه هى إجراءات عقلية من قبيل ما تجريه فى ذهنك عندما تراجع صحة عملية حسابية معينة .[٥٤]

ويشترط لمجموعة الإجراءات التى نحدد بها مفهوماً ما أن يكون مجموعة فريدة بمعنى ألا يكون هناك مجموعة إجرائية أخرى تقابل نفس المفهوم ، المراد تحديده ، وإلا لحدث إزدواج فى معنى ذلك المفهوم[٥٥]، فلكل مفهوم معين تعريف واحد وإجراءات محددة ووضوحها هو ظهور مقوماتها للعيان العقلى وتميزها هو مباينتها لما عداها ، وهذا أيضا هو الأساس الذى قام عليه التعريف الأرسطى فتعريف فكرة ما أو مفهوم ما عند أرسطو بتم بذكر جنسه وفصله ، فالجنس هو طبيعته و حقيقته أما الفصل فيميزه عما عداه ، كل ذلك ولا شان لأصحاب التعريف الأرسطى بالجانب التطبيقي

---

[٥٣] زكى نجيب محمود : المنطق الوضعى ، الجزء الأول ، ص ١٤١ – ١٤٢ .
[٥٤] المرجع نفسه .
[٥٥] المرجع نفسه .

العملى للفكرة المراد تعريفها، ولهذا قد يظل الخلاف قائماً بين متخاصمين على تعريف مفهوم معين ، دون أن يجد فيصلاً يحسن بينهما الخلاف .[٥٦]

وهذا ما رفضه أيضا أنصار التعريفات الإجرائية لأنهم يستعبدون التعريفات التى تفتقر إلى الإجرائية لأن هذا سيؤدى إلى عدم وضوحها وتألفها حدسياً ويؤدى إلى مسائل وقضايا لا معنى لها ، وقد أحدثت هذه الأفكار التى ينادى بها أيضا المذهب الإجرائى تأثيراً كبيراً فى التفكير المنهجى فى علم النفس وعلم الاجتماع حيث تأكدت الحاجة إلى توفير محكات إجرائية واضحة للمصطلحات التى يراد استخدامها فى الفروض والنظريات ، فالفروض مثل الفرض القائل بأن الناس الأكثر ذكاء أميل إلى أن يكونوا أقل ثباتاً من الناحية الانفعالية عن زملائهم . الأقل ذكاء أو أن المهارة الرياضية ترتبط إرتباطاً قوياً مع المهارات الموسيقية لا يمكن أن تختبر من الناحية الموضوعية إذا لم تتوفر محكات واضحة للتطبيق بالنسبة للألفاظ المكونة لها إن فهماً حدسياً غامضا لا يكفى للوفاء بالغرض مع أنه قد تقترح وسائل لتحديد محكات موضوعية فى علم النفس ، عادة ما تصلح مثل هذه المحكات بلغة الاختبارات الذكاء – للثبات الانفعالي – القدرة الرياضية ... و هلم جرا .[٥٧]

إن المسلك الإجرائى يتوقف على إجراء الاختبار وفقاً للتحديد وتعتقد المدرسة الإجرائية أن معنى مصطلح من المصطلحات يتحدد تحديداً تاماً وخاصاً بتعريفه الإجرائى ،ويذهب " برد جمان " إلى أننا لا نعنى بأي تصور شيئاً أكثر من مجموعة العمليات الإجرائية المناظرة ، وتتضمن وجهة النظر هذه أن المصطلح العلمى له معنى فقط فى داخل نطاق تلك المواقف الأمبريقية التى يمكن أن تتم فيها العملية الإجراءات المعرفة له[٥٨]

---

[٥٦] المرجع نفسه ص ١٣٩ – ١٤٠ .
[٥٧] كارل هامبل : فلسفة العلوم الطبيعية ص ١٣٥-١٣٨.
[٥٨] السيد على شتا : المنهج العلمى و العلوم الاجتماعية مكتبة الاشعاع للطباعة والنشر و التوزيع – الإسكندرية ١٩٩٧ ص ٤٨)

إن دقة ووضوح البحث العلمي عند الإجرائيين تتوقف على دقة الباحث فى تحديد معنى كل مفهوم علمى يستخدمه بحيث يأتي المصطلح العلمى لا يحمل إلا معنى واحداً متفق عليه بين جميع المتخصصين ، وكلما تقدم العلم وتطور أصبح فى حوزته رصيداً ضخماً من المفهومات المتفق عليها بين أهل التخصص . بحيث لا يحتاج العلم دائما إلى تحديد ما يقصده بكل مفهوم يستخدمونه ، وبذلك تصبح المفهومات الموجودة فى العلم مفردات علمية تستخدم فى تعريف مفهومات جديدة أكثر تعقيداً مثل اكتشافات علمية جديدة، وليس هذا حال معظم العلوم الاجتماعية والإنسانية الآن ، فعلى الرغم من أن هذه العلوم أصبحت تحتوى على كم هائل من المفهومات فإننا نجد أن معظم هذه المفهومات يحمل معان مختلفة تبعاً لاختلاف النظريات ، كما أن نفس المعنى يشار إليه فى كثير من الأحيان بمفهومات مختلفة ، ولهذه الأسباب يتعين على الباحث حين يصوغ مشكلة بحثه أن يقوم بتعريف المفهومات العلمية المستخدمة فى بحثه تكرار ، ولا يمكن بالطبع أن يتصور أحد أن كل باحث يقوم بتعريف أى مفهوم كما يحلو له ، ففى هذه الحالة يستحيل التواصل بين العلماء ، ويفتقد العلم ترابطه واستمراريته وصفته التراكمية ولكن الباحث يعتمد تعريفه لأي مفهوم يستخدمه على التراث النظرى والبحثى المتوفر عن ميدان بحثه ، وهنا تظهر مرة أخرى أهمية الدور الذى تلعبه النظرية التى توجه الباحث ويعتبرها منطلقاً لتعريفاته ومفاهيمه ، ونظراً لتعدد النظريات فى العلوم الاجتماعية والإنسانية فأن تعريف أى مفهوم سوف يختلف باختلاف النظريات ليس هذا فحسب ، بل هناك مفهومات معينة تستخدمها نظريات دون غيرها و أياً كانت النظريات التى توجه الباحث فأنه عند تعريفه لأي مفهوم يستخدمه لا بد أن يحدد ما يشير إلية هذا المفهوم فى الواقع . أى يحدد طبيعة المشار إليه به ، والمشار إليه هو الشئ الفعلى الذى يعرفه الباحث وهذا المشار إليه قد تكون شيئا فيزيقياً أو حدثاً أو فعلاً يمكن ملاحظته مباشرة وعن طريق مؤشرات علمية يسهل ملاحظتها بطريقة مباشرة مثل المدينة أو إضراب العمال أو سلوك الناس فى المواصلات العامة ... إلخ ، وقد يكون

حالة لا يمكن ملاحظتها ويمكن ملاحظتها بطريقة مباشرة مثل الحالات الانفعالية كالغضب أو الحالات الفكرية كالتدين أو قد تكون شيئا معنويا لا تمكن ملاحظته بشكل مباشر ولا توجد مؤشرات علمية تسهل ملاحظتها وعلى الباحث أن يبذل جهداً فى تحديد هذه المؤشرات مثل مفهوم الحرية أو الديمقراطية أو التقدم .

إن نقطة البداية فى التعريف الدقيق لأى مفهوم هو المشار إليه أى أن الباحث عليه أن يسال نفسه ، ما هو الشئ الذى أشير إليه عندما استخدم مفهوماً ؟ وكيف يمكن التعرف عليه وما هى البيانات التى تجعلنى استدل على وجوده ؟

ويطلق على تعريف المفهوم باستخدام مفهومات أخرى أكثر بساطة أو أكثر قرباً من الأشياء الملاحظة تسميه التعريف المجرد ABSTract Definition ، بينما يطلق على المؤشرات العينية التى نلاحظها تسميه التعريف الإجرائي .

وعلى هذا فإن الباحث لا بد أن يقوم دائماً بتقديم نوعين من التعريفات لكل مفهوم من المفاهيم التى يستخدمها فى دراسته التعريف الإجرائي والتعريف المجرد لأن كل تعريف منهما يؤدى دوراً هاماً و ضرورياً فى البحث العلمى .

فالتعريف المجرد للمفهوم هو همزة الوصل البحث الذى يجريه الباحث وبين النظرية الاجتماعية فهو يستمد المفهوم وتعريفه من نظرية ما من جهة ، كما أن النتائج التى سيتوصل إليها من دراسته لهذا المفهوم فى بحثه سوف تصب فى هذه النظرية من جهة أخرى أما التعريف الإجرائى فهو الذى سيحدد له نوع المادة التى سيجمعها فى بحثه عن طريق الملاحظات المباشرة أو غير المباشرة ومصادر هذه المادة وكيفية جمعها .[٥٩]

---

[٥٩] د . جمال الطحاوى : مدخل إلى البحث الاجتماعي ص ١٨٢ – ١٨٨ .

إن الإجرائية فى حقيقتها هى برنامج يهدف إلى ربط كل التصورات العلمية الإجراءات التجريبية و إلى تنقية وتمحيص العلم من المصطلحات غير المحددة بطريقة إجرائية ، تلك المصطلحات التى ينظر إليها على أنها خلو من المعنى التجريبى .[٦٠]

ولا يخرج التعريف الإجرائى عند هامبل عن كونه إجراء معيناً لتحديد القيمة العددية لكمية معينة فى حالة معينة ، انه أشبه بقواعد القياس [٦١]، فهو يرتبط بالقياس ويقوم على تحديد المفاهيم المستخدمة بواسطة إجراءات ، أى دلائل تجريبية أو عددية تمثل الظواهر الاجتماعية وتساعد هذه الإجراءات فى توضيح المعنى العلمى للتصور[٦٢]، بمعنى أن أى حد أو مصطلح علمى له معنى إذا أمكن تحديد اختبار محدد للتصور الذى يدل عليه هذا المصطلح بحيث يكون هذا الاختبار معياراً لتطبيقه تجريبياً أو أن أى تصور علمى ليس أكثر من مجموعة عمليات إجرائية تجريبية معينة ،وان يكون هذا التصور مرادفاً لتلك العمليات ، وأن أى حد لا يمكن إخضاعه لها يكون عديم المعنى[٦٣] ، فالتصور لا يكون علميا إلا إذا كان شيئا فيزيائيا كقياس الطول وتكون الإجراءات فيه فيزيائية حقيقية ، أو يكون تصوراً عقلياً كالمتسلسلة الرياضية وتكون الإجراءات فى هذه الحالة عقلية .ولا يعنى ذلك التفرقة بين التصورات الفيزيائية أو الرياضية ، أو أن أحد أنواع التصور لا يحتوى دائماً على احد عناصر التصور الأخر لآن هذا التقسيم أو التصنيف ليس جوهرياً .[٦٤]

---

[٦٠] Schllesineger.G., operationalism in the Encyclopedia philosophy op.cit.p.vol.5. Lonon.

[٦١] هامبل : فلسفة العلوم الطبيعة ص ٢٠٤ .

[٦٢] علاء مصطفي أنور : التفسير في العلوم الاجتماعية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة ١٩٨٨) ص ٧٧ .

[٦٣] المرجع نفسه.

[٦٤] محمود فهمى زيدان : مناهج البحث فى العلوم الطبيعية المعاصرة، ص ٥٧

وتكمن أهمية التعريفات الإجرائية فى أنها تتوقف عليها صحة النتائج العلميـــة أو تتوقف دقة التصورات على صحة الإجراءات التجريبية وعمليات الملاحظة ، وتســـهل هذه التعريفات عملية الاتصال العلمى بين العلماء ، وذلك لوضوح معانى المصطلحات العلمية المستخدمة ، ومن وظائفها أيضاً أنها توفر على العلماء الوقت والجهد وتمنـــع الخلط بينهم وتمكنهم من إعادة إجراء الدراسات والتوصل إلى النتائج ذاتها .[٦٥]

أنواع التعريفات الإجرائية :

قسم العلماء التعريفات الإجرائية إلى نوعين :

الأول : التعريف الإجرائى القياسى وهو الذى يضف للباحث كيف يقاس المتغير ويقول بهذا التعريف "كارل هامبل" ويقوم هذا التعريف على التعريف تحديد المفاهيم بواســـطة إجراءات أى دلائل تجريبية أو عددية تمثل الظواهر الاجتماعية .

الثانى : التعريف الإجرائى التجريبى وهو الـــذى يحـــدد تفاصـــيل معالجـــة الباحـــث للمتغير .[٦٦]

وفى الحقيقة إن الباحث غالباً ما يجد صعوبة بالغة فى تحديد مفهومات دراسته خاصة فى العلوم الاجتماعية والإنسانية لأن بعض هذه العلوم مازالت إلى يومنا هذا فى مرحلة تكوين نظريتها العامة وقد أرجع العلماء ذلك إلى عدة عوامل أهمها :

١- أن المفاهيم تنشأ نتيجة لخبرة اجتماعية مشتركة وتختلف من فرد لأخر ومن بيئةلأخرى .

٢- أن كثير من المفاهيم تحمل أكثر من معنى مثل مفهوم (ثقافة – حضارة .. الخ).

---

[٦٥] Pap .A., What in law at nature, in philosophical probems of nature science .ed by shapere saurces in philosophy Amacmillan series , New York . 1965 p.59.

[٦٦] عبد الباسط محمد حسن: أصول البحث الاجتماعي، ص ١٨٣ -١٨٧

٣-أن هناك ألفاظ كثيرة غامضة و غير متفق عليها بشكل عام فى هذه العلوم ، وتعبر عن صفات نسبية مثل (كاف – غير كاف – كثير – قليل – جيد – ردئ – ثقيل – خفيف ..... إلخ) .

٤-أن هناك بعض الألفاظ تشترك فى المعنى و غامضة فى الوقت نفسه .

٥-أن بعض المفاهيم قد يتغير معناها بمرور الوقت نتيجة لتقدم العلوم .[٦٧]

ولكى يتجنب الباحثون هذه الصعاب عليهم مفاهيم الدراسة أن يتبعوا الخطوات التالية .

أ) ربط المفهوم بالتعريفات السابقة .

ب) تحديد الخصائص البنائية والخصائص الوظيفية للمفهوم .

ج) الاستعانة بالتعريفات الإجرائية .[٦٨]

وبوجه عام إن المفهوم العلمى يعنى من الناحية الفلسفية صور انعكاس العالم على عقل الإنسان وبمساعدة هذا المفهوم أو التصور يكون بالإمكان معرفة جوهر الظاهرات ومعرفة العمليات التى تساعد على تعميم مظاهرها الأساسية و المفهوم ليس استاتيكياً ثابتاً وإنما هو ديناميا حيث يلخص على أساس من الوقائع والنتائج التى يتم التوصل إليها وتأتى ديناميته من تأثره بالوقائع وإثرائها ، كما أنه يربط الكلمات والاصطلاحات بأهداف وموضوعات محددة ،تجعل بالإمكان تحديد المعانى المحددة ولكي يكون المنهج علمياً يجب أن يستند على رؤيا إفتراضية حول الموضوعات التى يشير إليها.[٦٩]

وقد وضع العلماء بعض الشروط التى يجب توافرها فى المفهوم وهى وجود الارتباط المتبادل بينه وبين غيره من المفهومات داخل النظرية ، كما أن يكون مرناً متحركاً وليس جامدا ثابتاً وأن يكون نسبياً وليس حتمياً بطريقة فجة ،وهناك شبه اتفاق

---

[٦٧]) المرجع نفسه

[٦٨]) المرجع نفسه

[٦٩] محمد الغريب عبد الكريم : البحث الاجتماعي ، ص ٥٣ ، ٥٥ .

بين علماء المناهج على أن المفهوم فى جوهر تصور مجرد لوقائع تم ملاحظتها أو كما يقول " ماك لكيلانى " هو تمثيل مختصر لحقائق متغايرة ومتنوعة وإذا كان من شروطه الوضوح والدقة والايحاز والمرونة والنسبية فيجب أيضا أن يكون مانعاً جامعاً ما وسع الباحث فى ذلك سبيلاً وإذا كان المفهوم تصوراً للوقائع التى تم ملاحظتها فهذا لا ينفى إمكانية تصوره لوقائع مستقبلية وتصوره لحقائق قادمة ، أى على قدر من التنبؤ كمفهوم الشيوعية مثلا الذى صاغته الماركسية[٧٠] وهكذا فإن تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية يعتبر أحد الطرق المنهجية الهامة لأية دراسة ، ولهذا يكون على الباحث قبل بدء دراسته تحديد مفاهيمها تحديدا دقيقاً وواضحاً ، لأنه سيسهل على الذين يتابعون البحث إدراك المعانى والأفكار التى يريد الباحث التعبير عنها دون أن يختلفوا فيما يقول[٧١] والمفهوم هو تجريد للأحداث أو وصف مختصر لوقائع كثيرة ويستهدف تبسيط التفكير عن طريق الإشارة إلى فئات من الوقائع برمز عام ، وهو رمز أو اسم لفئة لأنه يشير إلى شئ معين وفى بعض الأحيان لا يدرك البعض أن المفاهيم هى بناءات منطقية وتجريدات ويؤدى ذلك بهم إلى خلط المفاهيم بالظواهر الفعلية وقد تكون المفاهيم قريبه من الوقائع والموضوعات التى ترمز إليها ، وهناك مفاهيم أخرى تعتبر استنتاجات على مستوى أعلى من التجريد فتشير إلى علاقات بين أشياء أو حوادث وهذه هى البناءات الفرضية constructs وتمثل هذه البناءات مصطلحات مثل " العدالة" و"الولاء" و"الصداقة" ... إلخ ، وتعتبر هذه المفاهيم الوحدات الأساسية لتكوين النظريات العلمية،[٧٢] وأهم ما يشترط فيها هو الصياغة الإجرائية أى وضوح العلاقة بين التصور والأساس الواقعى الذى أقيم عليه ويتطلب ذلك من الباحث أن يقوم بداءة بعملية تحليل منطقى يستهدف اكتشاف الأبعاد المختلفة للمفهوم المستخدم وتحقيق

---

(٧٠) Burns .R. B., The self concept . New York langman group, 1979 . p. 83

(٧١) Doly .j.Conceps and the theories in Doly . an introduction to social Research New York Appleton C antary Corofts 1967 – P 33 .

(٧٢) المرجع نفسه .

الترابط بين هذه الأبعاد وبحيث يمكن تميز كل الأنماط التى تشير إليها ، ثم حصر هذه الأنماط المختارة لدراستها ، وبعد ذلك ينتقل الباحث إلى خطوة تالية وهى ترجمة الأنماط المختارة للدراسات إلى فئات إجرائية ومؤشرات أمبيريقية ويحسن فى هذه الحالة تحديد المصادر التى سوف يحصل منها الباحث على المعلومات .

وللمفاهيم على النحو السابق وظائف عديدة فى العلم ، فإذا علمنا أن الهدف الرئيس للعلم هو تفسير الظواهر الواقعية من خلال إقامة العلاقات السببية بينها لتأكد لنا أن العالم حين يسعى إلى تحقيق هذا الهدف يسترشد فى صياغته لمشكلة بحثه وفى إجراء ملاحظاته بإطار فكرى محدد ، ونحن لا نقصد بالطبع من هذا الإطار عملية الإبداع التى تنشأ فى ذهن العالم ولكننا نقصد الإشارة إلى عنصر رئيسى من عناصر هذه العملية ألا وهو المفهوم العلمى .

نقد التعريفات الإجرائية

وجه العلماء عدة إنتقادات التعريفات الإجرائية تمثل الجانب السلبى لهذا النوع من التعريفات ويمكن إجمالها على النحو التالى :

أولاً : إصرار الإجرائيين على أن تقود التصورات العلمية إلى ملاحظات و تجارب حسية مباشرة .

ثانياً : إصرار الإجرائيين على أن أى تصور علمى ليس له معنى واحد ، وإنما تتعدد معانيه بتعدد مجالات البحث .[٧٢]

ثالثا : يأخذ "كارل بوبر"،Karl Popperعلى الطريقة الإجرائية كونها طريقة دائرية.[٧٣].

---

[٧٢] د . محمود زيدان : مناهج البحث العلوم الطبيعية المعاصرة ،ص ٥٧ .

[٧٣] Francia.G ., The investigation of the physical world, cambridge University press, London, ١٩٥٤ , p. ١٩ .

رابعا : عاب بعض العلماء على الإجرائيين أن مدخلهم للبرهان العملى متطرف إذ أنهم يرفضون وجود أن متغيرات لا تقبل القياس وفى ذلك يذهب "لند برج" إلى أن الإجرائية ليست طريقه لتعريف المفاهيم ولكنها عملية تتبع بعد أن تكون المفاهيم قد عرفت مثال ذلك إذا سأل أحد عن ما هيه الذكاء تكون الإجابة على ذلك أن الذكاء هو ما يقيسه مقياس الذكاء . (٤٧)

خامساً : "يرى زتربرج" zetterberg أن هناك ثلاثة احتمالات لحدوث الأخطاء فى عملية الصياغة الإجرائية للمفاهيم التجريدية للنظرية حيث يحدث أولها عندما يكون المفهوم أو التجريد ذات معنى واسع أكثر مما يعرض بواسطة العملية الإجرائية وذلك كأن يعرف الطبقة الاجتماعية Social class على أنها تتكون من مستويات الدخل والوعى بالعضوية للطبقة أوالشريحة المعطاة ثم يأتي التناول الإجرائي للمفهوم محدداً باستخدامه الدخل فقط وإهماله لفكرة الوعى بالعضوية .

أما عن الخطأ الثانى الذى يحتمل حدوثه فى عملية الصياغة الإجرائية فيقع عندما يكون التناول الإجرائي أوسع مدى من معنى المتضمن بواسطة المفهوم ، مثال ذلك عندما تنظر للطبقة الاجتماعية عند المستوى الإجرائى للتجريد على أنها مجموعة الأفراد الذين لهم نفس الدخل ، ثم يأتى التناول الإجرائي للطبقة الاجتماعية على أساس استخدام واحد من المقاييس الإجتماعية الاقتصادية الدارجة التى تتضمن الدخل والحالة التعليمية ، وهنا تتضمن العملية الإجرائية عاملا أخر وهو التعليم بالإضافة للمعنى التجريدى المحدد للطبقة والقائم على الدخل فقط .

أما الخطأ الثالث فيحتمل حدوثه فى عملية الصياغة الإجرائية عندما يوجد ثمة التقاء فى المعنى بين المتغيرين فى حين أن أى منهما لا يمثل الآخر(٤٨) مثال ذلك

---

(٣)السيد على شتا: المنهج العلمى والعلوم الاجتماعية ،ص ٤٨ .

(1) Zeetes berg, Hans on theory and Verification in socialogy,otawa, New york, Bedminster press, ١٩٦٥. PP ٣٠ – ٣٢ – ١١٤ – ١٢٣.

عندما تنظر للطبقة على أنها تمثل أشخاصاً ذوى دخل متماثل ثم نتناولها إجرائيا بواسطة هيبة الجماعات السلالية ففى هذه الحالة نأخذ متغيرين مترابطين – هما الدخل والعرفية أو العصبية ، ويأتي الاقتراح بان هيبته العضوية العصبية فى حد ذاتها كافية لتخليص التحيز الطبقى ، فى حين أن معرفة الدخل قد تقدم لنا شيئا ما أكثر فائدة حول الهيئة السلالية والعرفية العكس بالعكس ، فالواقع أن كلا العاملين متمايزان على مستوى الصياغة التصورية الإمبيريقية .. وتساؤلنا هنا لا يدور حول ما إذا كان المعنى التجريدى أوسع أو ضيق من المعنى الإجرائي بل أكثر من ذلك إذ يتناول المعنى على أنه شئ مختلف وعند هذا الحد يتأكد لنا العلاقة الوطيدة بين المفهومات التجريدية التى تتناول موضوعات النظرية فى حد ذاتها والتى تتسم بالعمومية والمفهومات الإجرائية التى تصاغ على المستوى الإجرائي للمتغيرات ،وذلك لأن كل النوعين من المفهومات يشكلان معاً الإطار التصورى الذى يشكل جزءاً أساسيا من النظرية .

إن صياغة المفاهيم والفروض يتم فى المرحلة الأولى على المستوى التصورى النظرى فقط دون أن تؤخذ فى الاعتبار المعطيات الأمبيريقية ودون عقد حوار جدلى بين المعطيات الامبيريقية ومقتضيات الصياغة النظرية لاستخلاص المفاهيم والفروض من خلال عملية الجدل بين المعطيات الكيفية والمعطيات الكمية وبذلك تكون عملية الصياغة تلك محدودة النطاق بحدود التصور النظرى حول الوقائع ، كما أن تحديد طرق قياس المفاهيم والتحقيق من الفروض لا تتوفر فيه المقومات الأساسية لتحديد المؤشرات الإجرائية للمفاهيم والفروض بما يجعل المفاهيم والقضايا النظرية خاضعة للقياس وحتى تحديد هذه المؤشرات يقتضى أن تكون العناصر النظرية للمفهوم والقضية متضمنه فى العناصر الإجرائية ومتسقه معها بحيث يشمل القياس جميع الدلالات النظرية للمفهوم والقضية . (٤٩)

---

(1) l bid .

سادساً : يرى الإجرائيون أن المفهومات لا بد أن تتطابق مع الخبرة الحسية و أن كان غاية ما يحاول أن يدنو منه المنهج العلمى هو أفضل تعبير يمكن أن يصدق على الواقع ، فصدق المفهومات ليس هو صدق التطابق مع الخبرة الحسية صدقاً مطلقاً بل هو صدق يقبل الزيادة والنقصان لأن التعبير عن حقيقته لا يكون بالاختبار بين طرفى الصدق أو الكذب بل بدرجة ملاءمته لتحقيق مهمته الغائبة ، وعلى هذا الوجه تتطور دلالة المفهومات العلمية فى تعبيرها عن معطيات الواقع فهى كما يقول هانز رايشنباخ" Hans Reichenbachذات طابع تعريفى ينطوى على قدر من التعسف Arbitray فيتغير بتغير تعريفات تنشأ نسقات وصفيه متعددة تقدم لغات مختلفة . (٥٠)

والمفهومات بذلك لا تعد نبداً للحقيقة بل هى تشير فحسب إلى أن الحقيقة يمكن أن تصاغ بطرق متعددة ولغات مختلفة بواسطة التصورات بحسب الغاية التى تراد من صياغتها ووفقاً للمرحلة التى تطورت إليها المعرفة العلمية .

سابعاً : عاب العلماء على الطريقة الإجرائية خاصة فى العلوم الإجتماعية فعندما طبق "برد جمان" هذه الطريقة على التصورات الإجتماعية أتضح أن نتائجه كانت مثبطة فيعلن انه إذا لم تستطيع أن تختبر تصورات مثل " الديمقراطية " " الواجب " و" الأخلاق " بواسطة " إجراءات " فهى إذن تصورات لا قدم لها أى أنها تصورات لا معنى لها و يجب استبعادها . (٥١) وتثير آراء بردجمان سالفة الذكر لدى " كارل هامبل " الغموض والاضطراب فى معانى التصورات ويفقدها الوضوح فالنظرية العلمية الصادقة أو النافعة هى التى تتسم بالبساطة أى الاقتصاد فى عدد التصورات إلى تحتويها ، أما نظرية بردجمان فتؤدى إلى ذلك التعقيد . (٥٢)

---

(٢) Reichenbach. h. , The philosophical significence of the theory,Relativity in Albert Einstein philosopher, science . Editors, Herbert feigl and may brodbeck, Appletion, Crafts, New York, ١٩٥٣. p . ٢٩٥ .

(٢) محمود السعران : علم اللغة – دار المعارف – مصر ،١٩٦٥،ص ٣٢٢ .

(٣) محمود زيدان : مناهج البحث في العلوم الطبيعة المعاصرة ،ص ٥٨ .

نتائج البحث

أولاً : تلعب التعريفات دور محورياً وهاماً فى تقدم العلوم بشكل عام والعلوم الاجتماعية والإنسانية على وجه الخصوص ، لأن هذه العلوم لا يزال البعض منها فى طور والنمو والتكوين أو لم تصل إلى مرحلة النضوج فلا يزال الكثير من مصطلحات ومفاهيم هذه العلوم تحمل الطابع الفلسفى الكلى العام ولا تعبر تعبيراً دقيقاً عن الوقائع والأحداث الإنسانية والإجتماعية ولهذا حاولنا من خلال هذا البحث عرض للآليات والطرق التى تساعد هذه العلوم على الوصول إلى تعريفات دقيقة وواضحة وواقعية بعيداً عن العمومية المطلقة واللبس والغموض ، وتتفق فى نفس الوقت مع المناهج التجريبية وشبه التجريبية التى أصبحت هذه العلوم تقوم عليها .

ثانياً : لقد تغيرت نظرة العلماء والمفكرين والمناطقة إلى وسائل وطرق التعريف والغاية منها مع التقدم العلمى الهائل ، فبعد أن كان العرف المنطقى القائم على النظرية الأرسطية فى التعريف يقوم على النظر فى المفهوم العقلى فحسب ويبحث عن الصفات الذاتية والجوهرية لهذا المفهوم أصبح التعريف يقوم على مجموعة من الإجراءات الواقعية القابلة الملاحظة والتجربة كما يقوم على وصف السلوك الإنسانى والإجتماعى وصفاً دقيقاً .

ثالثاً : لم تعد التعريفات الإجرائية تتقيد بالشروط المنطقية الصارمة التى وضعها أرسطو وفلاسفة اليونان ومن سار على نهجهم . بل أصبحت هذه التعريفات ترتبط إرتباطاً وثيقاً بتقدم المقاييس العلمية خاصة فى العلوم الاجتماعية وأصبح من الممكن استخدام هذه التعريفات الإجرائية على نطاق واسع فى هذه العلوم ، وأصبح التعريف الإجرائي هو الطريق الصحيح الذى يصل بين المفهوم والظواهر الملاحظة .

رابعاً : لقد ساهمت التعريفات الإجرائية فى تيسير عملية الاتصال العلمى بين العلماء ، لأن معنى المصطلحات العلمية سوف يتضح تماماً ، فمشكلة فهم معنى المصطلح

ستذوب وتتلاشى وتصبح المشكلة كلها فى محاولة التعرف على الإجراءات المستخدمة فى البحث وقابلية الاختبار العلمى لكل القضايا العلمية ، وهذا ما جعل أنصار التعريف الاجرائى يرفضون بعض المصطلحات التى تستخدم فى العلوم الاجتماعية والإنسانية لعدم قابليتها للاختبار مثل تعريف الزمان بأنه " الزمان المطلق " لأن الاسم عندهم لا يكون أسما إلا بخضوعه للإجراءات العملية ، وأن هذه التعريفات من وجه نظرهم هى قضايا لا معنى لها .

خامساً :إن تعريف أى مفهوم إنما يقوم على التراث النظرى والبحثى المتوفر فى ميادين البحث ولا يعتمد كما يتصور البعض على ما نتصوره فى العلوم الإجتماعية والإنسانية وهو ما يؤدى إلى تعدد التعريفات واختلافها فهناك مفهومات معينة تستخدمها نظريات معينة دون غيرها ويمكن تعريف مفهوم عن طريق استخدام مفهومات أخرى أكثر بساطة أو أكثر قرباً من الأشياء الملاحظة ، ويسمى هذا التعريف بالتعريف المجرد أما المؤشرات العينية التى نلاحظها تسميه التعريف الإجرائي فكل من التعريف المجرد والتعريف الإجرائي يؤدى دوراً هاماً وضروريا فى البحث العلمى .

سادسا: تؤكد العلاقة التكاملية بين التعريفات المجردة والتعريفات الإجرائية على أنه لا توجد هناك ملاحظات أمبيريقية خالصة بمعنى أن تكون خالية من أى عنصر فكرى تماما كما لا توجد فى العلم بأية حالة نظرية فكرية بحتة .

أولا: المراجع العربية

(١) ابن تيمية الحرانى : الرد على المنطقيين ، دار المعرفة ، مكة المكرمة، د.ت

(٢) ابن سينا : الشفاء – "الجدل"، تحقيق أحمد فؤاد الأهوانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت

(٣) أحمد مصطفى خاطر(دكتور) – عدلى على طاحون (دكتور) ، بناء النظرية الاجتماعية ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية ، ١٩٩٥ .

(٤) السيد على شتا (دكتور) : المنهج العلمى والعلوم الاجتماعية ، مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، ١٩٩٧.

(٥) الكسندرا غيتمانوف : علم المنطق ، دار التقدم موسكو ، ١٩٧٩.

(٦) جمال الطحاوى(دكتور) : مدخل إلى البحث الاجتماعى ، مطبعة التيسير ، المنيا، ١٩٩٨.

(٧) حسن عبد الحميد (دكتور) :مقدمة فى المنطق الصورى ، مكتبة الحرية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٩٠.

(٨) رضوان جودت زيادة (دكتور) : صدى الحداثة ، المركز الثقافى العربى، لبنان، ط١ ، ٢٠٠٣.

(٩) زكى نجيب محمود(دكتور) : المنطق الوضعى ، الجزء الأول ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٥ ، ١٩٧٣م

(١٠) ----------: نحو فلسفة علمية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١ ، ١٩٥٧.

(١١) عبد الباسط عبد المعطى(دكتور): اتجاهات نظرية فى علم الاجتماع ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ٤٤ ، أغسطس ١٩٨١.

(١٢) عبد الباسط محمد حسن (دكتور): أصول البحث الاجتماعى ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، ١٩٧٧.

(١٣) عبد الرحمن بدوى(دكتور) : المنطق الصورى والرياضى ، دار المطبوعات ،الكويت ، ط٥، ١٩٨١.

(١٤) ----------: منطق أرسطو ، الجزء الأول ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دار القلم ، بيروت ، ط١ ١٩٨٠.

(١٥) عبد الهادى الجوهرى (دكتور) : أسس علم الاجتماع ، المكتبة الجامعية ، الإسكندرية ، ط١٠ ، ٢٠٠٢.

(١٦) علا مصطفى (دكتور) : التفسير فى العلوم الاجتماعية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٨م

(١٧) على عبد المعطى (دكتور) –محمد محمد قاسم (دكتور) المنطق الصورى (أسسه ومباحثه) دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٥.

(١٨) على سامى النشار (دكتور) مناهج البحث عن مفكرى الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٧٨م

(١٩) كارل هامبل: فلسفة العلوم الطبيعية ، ترجمة وتعليق د. جلال موسى ، تقديم د.محمد على أبو ريان ، دار الكتاب المصرى ، دار الكتاب اللبنانى ١٩٧٦.

(٢٠) ماهر عبد القادر محمد (دكتور) : مناهج ومشكلات العلوم " الاستقراء والعلوم الطبيعية" ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٢.

(٢١) محمد الغريب عبد الكريم(دكتور): البحث العلمى " التصميم والمنهج والإجراءات" مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٧.

(٢٢) محمد مهران رشوان (دكتور): المدخل إلى المنطق الصورى ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٦م

(٢٣) محمود السعران (دكتور) : علم اللغة ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٥.

(٢٤) محمود فهمى زيدان(دكتور): مناهج البحث فى العلوم الطبيعية المعاصرة، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٩.

(٢٥) محى الدين عثمان محسب (دكتور) : الفكر اللغوى عند العرب ، مكتبة دار حراء ، المنيا ، ١٩٨٨م

(٢٦) مصطفى النشار (دكتور) : نظرية العلم الأرسطية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩،

(٢٧) نايف العجلونى (دكتور) : الحداثة والحداثية " المصطلح والمفهوم" ، مقال بمجلة أبحاث اليرموك ، الأردن ١٩٩٥م

(٢٨) يحيى هويدى (دكتور) : ما هو علم المنطق ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٦.

ثانيا: المراجع الأجنبية :

(١) Aly. A.ss., The Teaching and position of social science in Egypt Cairo Labrairay des letters. ١٩٥٦.

(٢) Aristotle, Postrior analytics, English Translat by jenkinsene, Great, Books, London. ١٩٦٧.

(٣) Ayer. A.j., The philosophy of science, scientific thought in The twentieth century philosoply the analytic Tradiation, edited and with an introduction by Morris weitz, the free press, New York, collier, Macmillan Limited, London, ١٩٦٦.

(٤) Black .M., Critical Thinking, Prantico. Hall, New York, ١٩٥٠.

(٥) Bryan Magee. Karl popper, editted by Modern frank kermed, Viking press. New York S ecand edition ١٩٧٣

(٦) Bridgman. p., the oprerational character of scintific concept, " in philosophy of science, ed by R . Bayed & p.Gasper & Dtraut,

(٧) Burns .R. B., The self concept . New York, langman group, ١٩٧٩

(٨) Carnap R. The Elimination of Metaphysics Through logical analysis of language Reprinted in

English translation in A.J.Ayer(ed) logical positivism, free press, ١٩٥٩

(٩) Cohen. M. R., and Nagel. E., An Introduction To Logic and Scientific Method London, Routledge and Kegyen paul ,١٩٦٤.

(١٠) Copi I., Introduction to logic ٣rd edt London . ١٩٦٩

(١١) Doly . J. Conceps and the theories, an.Introduction to social Research .New York,Appleton Cantary , Corofts, ١٩٦٧

(١٢) Francia.G ., The investigation of the physical world, cambridge University press, London, ١٩٥٤

(١٣) Lata and Macbeth, The Elements of Logic,Macmillan press, London.١٩٧٤.

(١٤) March.R., Logic & knowledge . London. G. Allen & uniun, ١٩٥٥

(١٥) Mill j.S., System of logic, Longmon, London,١٩٧٠

(١٦) M. Guigen frank " Experimental pasychology . New york . ١٩٧٩

(١٧) Pap .A. , What is law of nature, in philosophical problems of nature science. ed by shapere sources in philosophy Amacmillan series , New York . ١٩٦٥

(١٨) Plato. Sophist, in Great Books. Of the western world translate by jenkinsene ., London ١٩٦٧

(١٩) Ramsey .F.P., the Foundation of mathematics and other logical Essy, edt, by Braithwaite .A. London ١٩٣١

(٢٠) Reichenbiach. H., The philosophical significence of the theory,Relativity in Albert Einstein philosopher, sciance, Editors, Herbert feigl and may brodbeck, Appletion, Crafts, New York, ١٩٥٣.

(٢١) Schllesineger.G., operationalism in the Encyclopedia philosophy op.cit.p.vol.٥. Lonon

(٢٢) Stebbing .S. Amodern introduction to Logic, Second edition ch, Asia publishing House, London, ١٩٦٠.

(٢٣) Welton . Introduction Logic, Macmillan press, London

(٢٤) Zeetes berg, Hans on theory and Verification in socialogy,otawa, New york, Bedminster press, ١٩٦٥.